الناس كلهم على السواء ويجتمع الجميع تحت ظل ذلك اللواء لافارق بين من مات او من ذهب شهيد القتال ولا بين المأخوذ في الجنوب او الشمال فتدبروا الامر ودعوا هذا التصرف الممقوت فالله لمثل ذلك يقول (ولا تدري نفس باي ارض تموت) واذا كنتم معتقدين بان كل حي ليس بخالد فكونوا معتقدين ايضاً بان رب المشرق والمغرب واحد

وهذا آخر مايكتب القلم في هذا الباب ليرى من له قلب وليتذكر اولو الالباب وها هو يعدّ لغيره وفاء بوعده فان مضى هذا العدد فموعدنا الآتي من بعده

محمد محمد

بعموم الاوقاف

الحقيقة

هي المطلب السريع الذي طالما جدت في اثره سوابق الافكار ثم لم تستطع له ادراكاً والامنية العزيزة التي علقت بكل صدر حتى لا ترى لها عنه انفكاكاً بل هي المورد العذب قد اشتد حوله الزحام حتى لا امكان منه لشارب والعذراء الجميلة قد تجمع حولها الخطاب من كل جانب حتى تحيرت من تنتقي ثم انفردت فلم تكن لخاطب وليست الحقيقة بمولودة اليوم ولكنها بنت الآبادو العصور ولقد طال توهم الناس انهم ظفروا بها حتى اذا تبينوها لو انها ليست هي وان محض الحقيقة هو ان لا حقيقة الا بالحس والشعور

ولقد انشأ احد الكتاب فصلا عن حقائق الحالات واعتبار الناس لها فآثرنا اثباته بتصرف للدلالة على مبلغ اختلاف الناس على الحقائق قال

جن بعضهم مرة فنقله اهله الى البيمارستان واقاموا عليه طبيباً يتولى شأنه فاتفق حيناً ان الطبيب آنس من الرجل شيئاً من العقل والرشد فاخذه في مركبة وطاف معه اسواق لندن حتى اذا وصلا الى موضع كثر فيه الزحام والاختلاط التفت الرجل الى طبيبه وقال له انظر الى هولاء الناس ما اشد جنونهم فلما سمع الطبيب ذلك ايقن ان الرجل لا يزال على سابق جنونه فرده الى سجنه. قال الكاتب ولكن ترى من صاحب الحقيقة في هذه الحالة هل الرجل هو المجنون الحقيقي ام الناس الذين ذكرهم هم المجانين . انه لا برهان لدى البحث على ان الرجل مجنون والناس عقلاء الا بان الاغلبية قد حكمت بجنونه وتعقلهم اذن فالرجل مجنون بحكم الاغلبية وليس مجنوناً بحكم العقل والدليل على ذلك انه لو سجن اولئك الناس مكان المجانين واطلق المجانين لخلوا مكانهم ثم جاء انسان غريب لا يدري من احوال الفريقين شيئاً ولم يختبر من عاداتهم عادة ولا خلقاً فانه من المستحيل ان يرى في الحالة شيئاً غريباً لان حقيقة الجنون مفقودة من علمه بالقياس اليهم ولم يكن ذلك الغريب منهم ليجري على حكم الاغلبية معهم . اذن فالرجل غير مجنون الا لان القوة والاجماع قد الزمته بهذه الصفة وان الحق في هذه الحالة لم يكن الا قوة فقط

ولقد يقول البعض بل يقول الاكثرون ان الحق الصريح هو ما اجمع الناس عليه وانه لو لم يكن كذلك لحصل عليه الاختلاف حتى يتم الاتفاق على انه حق وانه ما دام الاجماع مستقراً على تصويب حالة فلا شك في انها حق . ولكن هذا الاجماع ليس ببرهان على وجود الحق فيه والدليل على ذلك

ان شعوباً عديدة من الامم المتمدنة التي كانت من قبل كانت تعتقد كلها بالاجماع على ان الارض منبسطة وانها مائلة من الشمال الى الجنوب وكان دليلهم على ذلك ان الانهار تنحدر بسرعة من الشمال الى الجنوب بسبب ذلك الميل ولكن النيل يسير ببطء لانه يذهب صعداً ويعاكس ميل الارض . ولم تكن العامة التي قالت هذا القول بل قد ادعاه اعظم الجغرافيين في القرون الوسطى . تلك هي الحقيقة التي كانت في ذاك العهد لان الاجماع قد استقر عليها ولكن هل هي حقيقة الان وهل لا نعد مجنوناً كل من يعتقد ذاك الاعتقاد حتى لنلقيه في السجن كما كانوا يعدون هم مجنوناً كل من خالفهم . اذن ليست الحقيقة صريحة مقبولة من حيث ذاتها وكونها بل هي الحقيقة لان القوة قد الزمت بها ودفعت الناس اليها

انظروا الى القاتل فانه عند مايقتل تقوم عليه قيامة الناس كلهم فيقتلونه ويعدونه شريراً مخالفاً للشرائع التي اجمعوا عليها وقالوا انها حقيقة وهم لا يعدونها حقيقة من حيث القتل مجرداً بل يعتبرونها كذلك من حيث اجماعهم على ان من اعدم نفساً فهو قاتل وان من سلب شيئاً فهو سارق . تلك هي الحقيقة المحضة التي لاجدال عليها لدى اعتبارهم وحكمهم واما حين يلتقي عسكر بعسكر وتسيل الدماء انهاراً فان ذلك لا يعد حقيقة عدوان لان الاجماع قد حكم بوجوبه وقال بانه حق . فانظر اي الفريقين مجنون الرجل الذي يقتل رجلا ام الشعب الذي يقتل شعباً . بل لو حكم هذه الارض ارض اعظم منها بحيث كانت الجموع لدى قوتها بمنزلة الافراد لدى قوتنا ثم كانت حقيقتها كحقيقتنا من ان القتل عدوان وغير حق اما كانت تحكم بالقتل على اولئك الشعوب المتحاربة كما نحكم على الفرد الذي يقتل فرداً . اذن فاجماع الناس على تجزئة

الحقيقة الفردة واعتبارهم النقيضين حقاً واحداً انما هو عين الجنون لدى نفس احكامهم

ثم انه اذا انقض رجل على رجل يريد اطعامه اكلة يعافها وقال له اما ان تأكل من هذا الطعام والا اقتلك بهذه السكين افلا نعد المعتدي مجنوناً ونرسله في الحال الى البيمارستان ولكن اذا انقضت مملكة على مملكة وقالت هذه شرائعي فاقبليها وهذا حكمي فارضي به فانه لا يعد عملها جنوناً لان الاجماع قد وقع على استحسانه اذن فالاجماع كان جنوناً كما حكم بذلك على الفرد ولكنه مع هذا قد عد حقيقة لانه جاء عن اجماع

ثم ان حكم الناس على الحقيقة لم يقصرهم على التصرف بكيفية الموجودات والحالات الحاصلة بل انه قد اوجد لهم المعدوم واعدم الموجود فان البعض يقولون مثلا ان القائد العظيم فلاناً لم يكن بموجود اصلا وان حديثه واسمه واعماله انما هي من جملة الاساطير الموضوعة وانه ليس الا رمزاً من الرموز فيقوم الاكثرون ويعارضونهم في ذلك من كل سبيل حتى يوجدوا ذلك المعدوم المحض فلو قام احد من العارفين بالحقيقة كيف كانت وكان الصواب من جهة البعض لحكم ولا شك بان الاكثرين مجانين حقيقة وان الحق الصريح لم يكن الا مع الاقلية

وعلى الجملة فالحقيقة ضائعة بين هذه العوالم فهي اذا دنت للجموع انكروها وخلقوا من مجموعهم حقيقة غيرها واذا دنت الى الافراد لم يستطيعوا ضبطها ولم تكن محسوبة عندهم بحقيقة وعلى هذا فمن شاء الحقيقة المحضة فليقل ان النار حارة والماء بارد وان الميت هو العاقل والحي هو المجنون الشارد